الفكر في الحضارة الصينية القديمة: كونفوشيوس والكنفوشيوسية

2/ كونفوشيوس: رائد الإصلاح في الصين القديمة(تابع)

يعود تاريخ كونفوشيوس والكونفوشيوسيون الأوائل إلى الفترة ما بين 551 و479 قبل الميلاد. وبشأن دوره يقول كونفوشيوس " أنا لا أنظر وإنما أنقل". وسياسيا كان من مساندي النظام الكلاسيكي الذي يكون فيه الملك هو أساس كل شيء؛ وقدوة للرعية، ومن هنا تأتي الحاجة إلى تكوينه. معالجة الواقع الاجتماعي ينبغي أن تكون ضمن إطاره الاجتماعي ممثلا في المسميات والطقوس. يجسد الملك صورة الرجل المنصف (العدالة). وتعد دراسة الكتب القديمة أفضل من ممارسة التفكير. توجد ماهيات تضفي خصائص معينة، وهناك طبيعة بشرية من حيث المبدأ هي نفسها عند الجميع، هذه الطبيعة البشرية تكتمل في التاريخ. الأهواء تقودنا إلى الضلال، لهذا يعتقد كونفوشيوس أننا بحاجة إلى الانتباه للنور الذي بداخلنا. وكل واحد ينبغي أن يتصرف وفق الاسم الذي يحمله، والذي يعبر عن جوهره.

كونفوشيوس مولده ونشأته.

في مرحلة الربيع والخريف ومع تفكك النظام العبودي وظهور النظام الإقطاعي ظهرت العديد من الصراعات بين الدويلات المتحاربة وحتى بين الطبقات المنافسة والمتناحرة فيما بينها وكنتيجة لذلك ظهرت العديد من المدارس الفكرية التي تدافع عن مصالح كل طبقة. (تفكك الحكم المركزي وظهور الامارات المتفرقة نتيجة التطور الاقتصادي وتزايد السكان) ومن بين الدويلات التي ظهرت نجد لو التي ولد فيها كونفوشيوس.

كونفوشيوس Confucius أو كونج تزي *Kǒng Zǐ* التي تعني المعلم. ولد سنة 551 ق م. وتوفي سنة 479 ق م. في مقاطعة تدعى لو Lu حسب بعض الكتابات تعود أسرته إلى أسرة شانغ . كان لأبيه تسعة بنات وكان يتوق إلى أن يكون له ولد فقام بإعادة الزواج، ومن هذه الزوجة الثانية كان له كونفوشيوس وهو في سن ال70. وبعد ثلاثة سنوات توفي أبوه تاركا ولده الصغيرة في فقر ودون مكانة اجتماعية. وبحكم أن والده كان يشتغل مستشارا في مقاطعة لو سمح له بالتعلم والاطلاع على الارث الثقافي والفني والنصوص الكلاسيكية لمملكة تشو وهو الأمر الذي ساهم بشكل كبير في تشكيل فكر كونفوشيوس.

عملت أمه على تنشئته في ظروف مادية صعبة، أضطره إلى العمل وهو صغير لم يتجاوز 13 عاما. وفي سنة 19 تزوج من فتاة من مقاطعة مجاورة ولكن زواجه لم يدم طويلا حيث انتهى بعد أربع سنوات. تقلد كونفوشيوس

مناصب عليا في امارته فقد اشتغل كوزير للعدل ثم رئيس الوزراء. دفعت الصراعات التي نشبت بين الحاكم والأمراء كونفوشيوس إلى ترك مقاطعته وبقدر ما كان مرحبا به أينما ذهب بقدر ما كان الأمراء يتوجسون منه ومن أفكاره لأنه يهدد مكانتهم وسلطتهم. في سن 68 عاد إلى مقاطعته الأصلية وتوفي هناك في سن 73.

المصادر الفكرية لحكمة كونفوشيوس:

1. كتاب الشعر)شيه تشينغ (: وهي مجموعة من الأشعار تعود إلى أسرة تشو
2. كتاب التاريخ شو تشينغ وهو كتاب يضم العديد من السجلات عن الأحداث التاريخية التي تعود إلى 2000 ق م إلى غاية 700 ق م .
3. كتاب التغيرات: وهو كتاب لتفسير الطبيعة وكذلك هو كتاب العرافة ويعود هذا الكتاب إلى 1100 ق م .
4. كتاب الطقس: لي تشي : يضم مجموعة من القواعد في مجال السلوك والآداب تعود إلى ما قبل كونفوشيوس
5. كتاب حوليات الربيع والخريف: تشو تشو: ويضم تأريخ للأحداث التي تعود إلى 722 ق م و 464 ق م

الكتب الأربعة لكونفوشيوس

1. مختارات كونفوشيوس : لون يو : وتضم أقوال كونفوشيوس لتلامذته تم جمعها بعد وفاته
2. العلم العظيم: تا هاسو : وتضم اقتراحات كونفوشيو حول طرق الحكم
3. كتاب عقيدة الوسط: ويضم تعاليم حول تنظيم الحياة .
4. كتاب منشيوس : ويضم شروحات على تعاليم كونفشيوس قدمها تلميده منشيوس

عاش كونفوشيوس في مرحلة عرفت فيه الثقافة الصينية القائمة على الفن والأدب وكانت أخر قلاع هذه الثقافة مثلتها مملكة تشو التي تراجعت سلطتها أمام ظهور دويلات جديدة أصبحت تؤمن بشكل كبير بثقافة القتال والحروب وهذا ما جعل كونفوشيوس يتشبث بمقاطعة تشو التي ظلت متمسكة على خلاف جاراتها (التي كانت تهتم بتقوية الجيش) بالتكوين الثقافي والفني، لأنه كان يعتقد أن هذا التوجه يساعد بشكل كبير على تهذيب الأخلاق وتحسين السلوك واحترام الاسلاف والطقوس. ورأى أن مهمته هو ما حددته السماء له والمتمثلة في اعادة احياء الطريق الذي سلكه مؤسسي مملكة تشو.

يتمثل الطريق الذي اتخذه كونفوشيوس في احياء "التراث" الذي هو طريق الطاو أي الطريق الروحي والذي يعني طريق "التراث". في هذا المجال لم يدعي ابتكار طريق جديدة وإنما دعا إلى احياء القديم ومواصلة السير وفيه. لقد عمل كونفوشيوس على احياء الأعراف (أداب وأعراف المجتمع وقواعده). وبما أنه دعا إلى احياء التقاليد والارث الفكري القديم فإن أفكاره تتمثل في مجموعة من السلوكات التي تتوافق مع هذا الارث والأعراف. نهجه لم يكن نظري وإنما تطبيقي يهدف إلى اكتمال الإنسان باعتباره انسان.

تقوم فلسفة كونفوشيوس على الأفكار التالي:

- جين وتعني الانسانية أو هي حب الآخرين. فجوهر الإنسان أنه يحب غيره وعلى الإنسان أن يلتزم بالمبادئ الأخلاقية والالتزام يعني أن لا نتصرف بما نحبه ونكرهه وإنما بما يتوافق مع القواعد والمبادئ. ويتطلب الأمر أحيانا أن يضحي الإنسان بذاته ومن وقته وماله وصحة من أجل تحقيق قيم الانسانية.
- لي: وتعين آداب المجمع وأعرافه، وهذه الآداب لا تعارض مع جي لأن الأعراف هي نفسها ما يمسوا بالأفراد إلى الانسانية .
- الأسرة (هيسياو): يولي كونفوثيوس أهمية كبيرة للأسرة لأنها تمثل النواة الأولى التي يتربى فيها الطفل. وفيها يتعلم الأعراف والمبادئ الأخلاقية والقيم التي تشكل لي (الانسانية). لهذا نجده يولي أهمية كبرة للأسرة وللوالدين ويجب طاعتها وتوقيرهما، وطاعة الوالدين لا يتحدد فقط بطاعتهما هم وإنما أيضا بالسلوك الحسن تجاه الآخرين، لأن الذي يسيئ إلى الآخرين فهو يسيئ أولا وقبل كل شيء إلى والديه اللذان لم يحسنا تربيته.

الإصلاحات كونفوشيوس.

أولا: الإصلاحات السياسية والاجتماعية.

عرفت الصين في عصر كونفوشيوس تدهورا للأوضاع الاجتماعية والسياسية فحمل مهمة إصلاحها من خلال: تطبيق الطقوس والآداب التي كانت تحكم المجتمع الصيني القديم. هذه الطقوس والأعراف هي أساس النظام والاستقرار، لأنها هي التي كانت تحدد دور ومكانة كل فرد وكل طبقة في المجتمع.

تصحيح علاقة الأسماء بالمسميات: اعتبر كونفوشيوس أن سبب الاضطرابات السياسية والاجتماعية التي شهدتها الصين في عصر الدويلات المتحاربة يعود تنافر الأسماء مع الحقائق التي تعبر عنها(لم يعد الأب يتصرف وفق

مقام الأبوة، والأبن لم يعد يتصرف وفق مقام البنوة وهكذا). لهذا دعا إلى تأسيس نظام اجتماعي وسياسي يكون فيه: الملك ملكا، والأمير أميرا، والأب أبا، والابن أبنا، والعبيد عبيدا...إلخ.

ثانيا: الإصلاحات الأخلاقية.

يعتبر كونفوشيوس أن عصب العلاقات الاجتماعية هو الخير، والخير الذي يقصد هو ذلك الذي يتوافق مع الطقوس الموروثة. حب الخير للآخرين غايته إزالة التناقضات بين الطبقات، وبين الحكام والمحكومين...إلخ.